

## الوعي.. الحاضر الغائب في جائحة "كورونا"

إعداد: أ.د/ منال عبد الخالق جاب الله  
أستاذ الصحة النفسية.. كلية التربية.. جامعة بنها..

يعود تاريخ أول تجربة معملية عن "الوعي" إلى العام (١٨٧٩) عندما استهدف الألمانى "فيلهلم فونت" دراسة بنية وتركيب الوعي وما يرتبط به من شعور وانتباه، ذلك الوعي الذى يمثل للمرء جوهر وجوده ويميزه عن غيره من خلق الله، فيدرك حين يدرك أنه هو "هو". فكيف يعيش المرء وماذا يفعل ولسان حاله يعلم أنه "ينتظر دوره" ليكون هو المصاب التالى فى وباء عم العالم أجمع؟ هنا يبرز "الوعي" إلى درجة التمام، إنه مركب واحد ومسئولية مشتركة. إن أصبت أنت فقد أصاب أنا، وإن أصبت أنا فقد أنقل لك العدوى، لا مفر. الوعي ليس وعى الفرد بل وعى الجماعة، وحماية النفس حماية للآخرين والعكس، والحظر ليس للسليم دون المصاب أو العكس، والخطر داهم على الجميع، والدعم مطلوب من الكل، والتوعية لازمة للكل، والوعى -إذن- مطلوب من الكل.

فى الحادى عشر من مارس (٢٠٢٠) أعلنت منظمة الصحة العالمية أن "كورونا" وباء عالمى، وأن مرض ال "كوفيد -١٩" انتشر فى مائتى دولة حول العالم بنسبة وفيات تصل إلى (٥,٧%)، واكتملت دائرة لم ولن نعرف أولها وآخرها، قلق وصعوبة تعايش واحتمالات مؤلمة: ضغوط اقتصادية بسبب توقف مشاريع وأنشطة، خسائر مادية، سخط يؤدي إلى مرارة واستخفاف، ثم غضب ومزيد من الضغوط، ورفض للاستسلام، وتذكير بأنك ميت وإنهم ميتون ... أصبحنا كمن عانى كل شيء، فأصبح بذلك لايعانى شيئاً، يتلقى من الأقدار الخير والشر بامتنان واحد كما قال شكسبير، وغداً كثير منا ذلك الحكيم الذى فهم الحكمة فمارس الفكاهة تعبيرا عن الألم، وما تلك إلا آلية دفاع مجرّبة عبر السنين، تقلل الشعور بالخوف وتغلب اليأس.

يقول باسكال: "مصيبة الإنسان هى عدم معرفة كيفية البقاء وحيدا مرتاحا فى غرفته"، نحن نحب الحياة والسفر والترقى المهني، ونحب الأصدقاء ودعوة العشاء، ونحب نهايات الأسبوع... نعم، ولكن "الوعي" يخبرنا أنه فى زمن الوباء يصبح كل ذلك ثانويا، ويكون علينا أن نتعلم العيش بصحبة ذواتنا. كيف يمكن للمرء أن يستوعب -إن كان فعلا بإمكانه ذلك- أن يتغير شكل الحياة، لن نذهب للعمل حاليا، سنغلق المدارس وسنتباعد، ولن نستيقظ صباحا لنقبل الصغار، لقد أصبح كل ذلك غير لازم، والأهم هو أن نعرف: هل سنجد ما يكفي قوت يومنا للبقاء بصحة جيدة، وهل يجب علينا تخزين الدواء؟ وإلى أين نذهب لنكون أكثر أمناً؟ لقد التقينا جميعاً على صفحات مواقع التواصل لنشارك بعضنا بعضاً مشاعر الطمأنينة والثقة، وأكاد أقول: إن بعض الطمأنينة كان مصدرها مشاركة الخوف والخطر والتهديد الذى فرضه الوباء عندما غمرتنا المعلومات الخاطئة والمتخبطة عن مصدره وتداعياته.

وحرصنا على فهم ما يجري، ووجدنا أنفسنا على محك وجودي: هل ننتطوي على ذواتنا؛ لأن العمل فردي والضمانات تخصصنا: غسيل الأيدي والعزل الصحي، أم نواجه معضلة "القنفذ" كما صورها شوبنهاور، حيث النية الحسنة وحدها لا تكفي، والحديث عن ذكاء المسافات أهم، وهل نفضل الإصابة بـ "كوفيد-١٩" بينما نحن أحرار على "وعي" أم نحب النجاة منه وإن كنا مقيدين محجورين معزولين؟

كيف نعيش؟ وعن ماذا نبحث في زمن الوباء؟ الحب والمال ... وممّ نخاف: المرض، الموت...؟ إننا نفعل ذلك في كل زمان، وعندما تكون الحياة على المحك، وعندما يدفعنا الخوف إلى التفكير عندئذ يتحقق "الوعي" بل قد نصبح فلاسفة، إنها حالة من إعادة النظر.

"الوعي" وما يثيره من دهشة ومحاولة للفهم هو رهان العالم في ظل الأزمة الحالية، لقد علمنا الوباء أن الحياة ثمينة جدا، وجعلنا نفكر في الموت أكثر مما فعلنا طوال حياتنا غالبا، لكننا رغم ذلك تعلمنا أيضا كيف يجب أن نعمل من أجل عيش كريم أكثر كثافة وسعادة، لقد تعلمنا أن الحرية غالية، وأن الإقامة الجبرية رغم توافر الطعام والدواء ليست حياة، وأن الطب شيء عظيم، لكنه لا يحل محل السياسة والأخلاق والروحانيات، وبتنا نسأل مهمومين: من سيصلح ما فسد؟ نحن الذين تجاوزنا أوسط العمر، أم الصغار الذين سيرثون عواقب الإنفاق الإضافي ومخصصات مواجهة الأزمة؟

يا لكل هذا القدر من "الوعي"، إن الحكمة تقتضي استقبال ما يجري في هدوء وسكينة دون استسلام للذعر، مع إقرار بالعدل والمساواة بين الجميع في حق الحياة وإظهار المثل واحترام التعليمات وعدم الاستسلام للذعر الشراء والتحكم في الدوافع.

في زمن الجائحة يجب أن يكون الوعي سلوكاً لا مثالا، وفعلاً لا قولاً، تكاتفاً وتبادل مسئولية، لا تبادل هجوم واتهامات، ومهما بلغت درجة حضارة المجتمعات، فإن بعض الأزمات قد تخترق هذه الدرجة، وتربك الوعي والمسئولية لدى أفرادها، لكن الرقي والتعليم يكون له دور في احتواء الموقف وإيجابية المبادرة في التصدي لتداعياتها، التزاما واحتراما وإعمالا للقانون وتنفيذا للقرارات.

جاء "كورونا" ليعود بالعالم وبالعولمة إلى حيث كانت البداية، لا سياسة في زمن الوباء، ولا جغرافيا ولا حتى قانون، هذا هو الدرس، مرة أخرى نناقش نظام الحوكمة العالمية وقضايا الثقة المتبادلة بين الشعوب، ومبادئ التعاون والشراكة لا الهيمنة والاستبداد، ومعنى الأمن والسلام مقابل الحرب والتهديد. ما عادت الغطرسة مبررة، وقد فقد العالم إنسانيته وصرح مباشرة بعنصريته التي لا تعرف الحياء. إنه فيروس عابر للقارات، حجز لنفسه مقعدا في كل رحلة دولية واجتاز حدود البلاد، فلم يمنعه حاجز رسمي أو أممي، إنه أوسع آفة عولمة في تاريخ البشرية، بل وأسرعها على مقياس العولمة: فرض رهاب الأجانب نفسه، وعُلقت السياحة، وغُلقت المطارات، ولكن "الوعي العالمي" له رأي آخر، اللاعبون الأساسيون لا يغادرون الساحة مطلقا، وما زال الأوائل في ميدان العولمة يتحكمون في الاقتصاد وأسواقه، ويمدون أذرعهم إلى حيث يمكن أن تطول، ومعامل الأبحاث وشركات الدواء تتنافس عالميا، وقد عرفوا أنه لا ينبغي شراء الأسلحة أو تصنيعها فقط، بل ينبغي أيضا تجهيز قاعات البحث العلمي وتشغيلها، وبدون ذلك لن تنجو دولة دون أخرى، بل إن الدولة التي قد تنظر إلى الوباء باعتباره معركة تخصصها ويجب أن تفوز بها وحدها ستخرج من اللعبة خاسرة، كل ما حصل

ويحصل في الواقع هو أن العالم سيفتح الباب لدول لتدخل ولأخرى لتخرج، وسيتغير شكل العلاقة بين الشعوب وحكوماتها مانحا الشعوب فرصة لإعادة ترتيب المنظومة العالمية.

لقد مايز "كورونا" بين الشعوب كما تمايز الشدة معادن الناس، فماذا فعلت شعوب العالم وماذا فعلنا؟ تكشّف لنا وعي الشعوب وثراء وتنوع ثقافات كل شعب على حدة، وجولة في هذا الصدد لا بأس بها:

غنى الإيطاليون من الشرفات وقت الحظر، وعلقوا رسائل تضامن وطمأننة على الأبواب والشرفات كتب عليها: سيكون كل شيء على ما يرام، وتخلوا حيناً عن حرارة التحية المتبادلة بالعناق لكنهم لم يتخلوا عن حب الحياة والأزياء والموسيقى والبيتزا ورائحة القهوة ولوحات دافنشي، مثلما لم يتخل الألمان عن حبهم لحضور الحفلات، ونظمت حكومتهم بث العروض الموسيقية الحية عبر الإنترنت بالتنسيق مع اتحاد نوادي برلين والذي يضم (٢٤٥) نادياً وقاعة احتفالات، وتابعتها ملايين العشاق من منازلهم من الساعة مساء حتى منتصف الليل، ولم يتأثر مصدر دخل مقدمي هذه الحفلات. واستمر الاستراليون في نصب خيامهم في غرف الجلوس والاستمتاع بخدمة البث الحي عبر الإنترنت من المحميات الطبيعية وحدائق الحيوان؛ لأنهم يعشقون التخيم والاستمتاع بالطبيعة.

ولأن تناول الشراب حق أصيل لكل بريطاني ومكفول لكل مواطن، فقد كان الحل هو إقامة حفلات افتراضية في مواقع افتراضية يزورها يومياً آلاف الزوار، وتعقد فيها مسابقات فكرية وثقافية في جميع أنحاء بريطانيا. ولم يغلق الفرنسيون متاجر بيع الخبز والخبز والخبز والخبز والخبز؛ لأنهم يحبونها، كما لم يتوقف سكان الدول الإسكندنافية عن الذهاب للعمل وركوب الدراجات. أما في كوريا فحين أغلقت المقاهي أبوابها تفنن الكوريون في تحضير القهوة المحلية ونشروا الفيديوهات التعليمية عن طرق تحضيرها، وحصدت بعض هذه المقاطع ملايين المشاهدات، وتميزوا بتقديم رسائل شكر بخط اليد لا عبر البريد مصحوبة أحياناً بالهدايا الصغيرة لعمال توصيل الطرود والطلبات للمنازل تعبيراً عن الامتنان. أما في الهند - وحيث لا يقر الغالبية باحترام مسافة الأمان - فقد كان الحل هو رسم دوائر بالطباشير خارج المؤسسات والأسواق لتنظيم الوقوف.

وأكمل ما يزيد عن (٥٠٠) مليون متعلم حول العالم وفق إحصائية صادرة عن اليونسكو في مارس (٢٠٢٠) التعلم والتدريب عبر منصات إلكترونية أثبتت أنها متنوعة وثرية، وربما أكثر جذباً من الطرق التقليدية، واكتشف السعوديون شغفهم بالتدريب عن بُعد، وأطلقت عدة مؤسسات في المملكة مبادرات التدريب المجانية وغير المجانية خلال فترة الحظر وطوال شهر رمضان، وكان الإقبال عليها مرضياً إلى درجة توقع تغيير ثقافتهم عن حلول عملية ناجحة بعد انتهاء الأزمة، وقد تم تنفيذ ما مجموعه (٣٠١٢) ساعة تدريبية بمجموع (٩١٤) يوماً تدريبياً وبمشاركة (٥٥٥) مؤسسة تدريب عن بُعد.

على اختلاف ردود الفعل، ورغم أن الأمر ضد مجريات الطبيعة الانسانية: تقييد حركة، منع اختلاط، حجر صحي، عزل منزلي... فإن المؤكد هو إدراك الجميع خطورة ما يحدث مع خروج الفيروس عن السيطرة وقربه من الجميع.

إنها لجولة شيقة، فماذا فعل المصريون؟ وماذا يفعلون؟ كيف عبروا عن أنفسهم؟ وماذا يمكن أن نقول عن وعي المصريين سواء أثناء فترة الحظر أو بعد رفعه؟ حيث كان الانتباه الحقيقي لفكرة "الوعي"؟



عرفت الدولة من اليوم الأول أن الارتقاء بالوعي ونشر الثقافة أهم سبل الإسهام في تجاوز الأزمة، ورغم تعليق معظم - إن لم يكن جميع - الأنشطة الثقافية ومناسبات الاحتفال المحلية والدولية، ورغم خلو مواقع التراث والمزارات السياحية من روادها، ورغم تأجيل تفعيل إعلان القاهرة "عاصمة الثقافة الإسلامية" إلى حين عودة الحياة لطبيعتها، فإن التنسيق جرى لمواجهة تداعيات "كورونا"، ولأن رئيس الجمهورية كان قد أعلن العام (٢٠٢٠) عاماً للثقافة، فقد رأينا كيف تم تطويع تطبيقات الذكاء الاصطناعي ومنصات التكنولوجيا في الوصول إلى الملايين عبر الإنترنت بداية من إطلاق مبادرة: "خليك في البيت... الثقافة بين إيديك" في مارس (٢٠٢٠)، إلى إطلاق قناة على اليوتيوب زارها نحو (٢٧) مليون زائر، وتفاعل منهم مليون و(٨٠٠) ألف أثناء مشاهدة ما تم بثه من عروض شملت جولات وزيارات افتراضية للمتاحف، وحفلات موسيقية، واستعراضات شعبية، وأفلام وثائقية وكتب للتصفح المجاني، ومحاضرات توعوية، هذا كله إلى جانب جذب المبدعين وتقديم جوائز للإبداع لمن هم دون (١٨) عاماً للمرة الأولى.

رأينا أشخاصاً إيجابيين متعاونين يمثلون غالبية الشعب العاطفي الذي يظهر معدنه وقت الشدة، ويحب العمل تحت الضغط، يجمعون التبرعات ويساندون الدولة بمبادرات الدعم الوقائي لإنتاج أجهزة التنفس الصناعي ومساندة الأطباء وحماية الفرق الطبية، وتحفيز العمل التطوعي عبر خطوط ساخنة تنشر الأخبار الجيدة وقصص التعافي، ويردون على الشائعات ويؤكدون الشفافية في التعامل مع الأزمة، ويحذرون من خطورة الانسياق وراء عادات وتقاليد تزيد من الوباء، ويحثون على تقييم أداء الحكومة تقييماً عادلاً، بل ويبدون إعجابهم بأداء الدولة بعد الإعلان عن تخصيص مئة مليار جنيه لتمويل خطة مواجهة الفيروس، ومنحة العمالة غير المنتظمة، وتخفيض سعر الغاز والكهرباء المستخدم في الصناعة، ودعم البورصة، ويحاولون فهم المنطق وراء زيارة وزيرة الصحة للصين وإيطاليا وقت ذروة انتشار الوباء عندهم.

رأينا عمال اليومية الذين انقطعت بهم السبل، وكان لزاماً عليهم التعامل مع فقر مدقع يهدد حياتهم، حتى أصبح الموت من الوباء محتملاً والموت من الجوع أكيداً، وحتمية الخروج سعياً وراء لقمة العيش لا مناص منها، وأشار تقرير الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بأن معظم الأسر المصرية خفضت استهلاكها من الفاكهة والبروتين الحيواني بسبب الأزمة، وبعضها خفضت كمية الطعام في الوجبة الواحدة، و(٢٠٪) منها قللت عدد الوجبات من ثلاث إلى اثنتين، و(٥٠٪) لجأوا إلى الاستدانة، وأن أربعة ملايين أسرة و(٢٠) ألفاً تعتمد على الإحسان من مساعدات أهل الخير، وأن (٣٧٠) ألف أسرة اضطرت إلى بيع جزء من ممتلكاتها، وقد تكون الأرقام أكثر من المعلن بسبب ارتفاع تكلفة الخدمات وغلاء الأسعار.

رأينا أيضاً فئة الأغلبية من الشباب الذين قد يصابون ولا يتأثرون بالمرض، بل قد لا تظهر عليهم أعراضه يتنقلون بحرية ويخالفون قواعد الحظر، ورأينا كبار السن من ذوي ضعف المناعة والأمراض المزمنة والأورام والحوامل أيضاً، وما روج عن فتك الفيروس بهم إضافة إلى ما يفعله الصغار من غير المباليين، ولزوم اعتبار الوباء اختباراً لقوة الإيمان بعد أن أصبح الموت وشيكاً.

رأينا من يخرجون إلى الشواطئ ومن يقيمون الأفراح ومن يفتحون المقاهي من أبوابها الخلفية رغم قرارات الحظر ومنع التجمعات، رأينا أهل البلدة يمنعون دفن طبيبة متوفاة

بالمريض خشية الإصابة، وزوجاً يلقي بزوجته من الطابق الخامس بعد علمه بإصابتها، وحالات عنف منزلي عديدة، وسكان عقار يفلقون بابه خشية تواجد طبيب ممن يعملون بالعزل في أحد شققه، والتقطت الصور ومقاطع الفيديو لمن يلاحقون مريضاً بالكوفيد-19 فارقاً من سيارة الإسعاف متجمعين حوله دون وقاية، وغيرهم يستقبلون عائداً ناجياً من المرض بالاحتفال في حشد كبير دون وقاية أيضاً، وآخرين يخزنون الأدوية دون وصفات طبية، وماعاد ممكناً تفسير "الوصمة" المرتبطة بالمرض وبخاصة عندما يكون مجهولاً غامضاً (مثل: الكوفيد-19)، وتابعتنا الحجر الصحي ونواتجه المعقدة، وحدثت (18) حالة وفاة بين الأطفال في شهر واحد بسبب الطائرات الورقية؛ الأمر الذي يطرح سؤالاً: ماذا يفعل الأطفال وقت الحظر وزمن الوباء؟

رأينا كيف ذهب أحفاد الفراغنة إلى التندر باعتبار أنهم ملوك السخرية والفكاهة متسائلين: وهل تضيع هيبتنا أمام فيروس لا يُرى بالعين؟ ونشر أحدهم "الكمامات" على حبل الغسيل وعلق آخر: نحن ننشر "الوعي"، سخرنا من الفيروس وأطلقنا عنه النكات، ورأينا أناساً يسألون بعضهم: ماذا فعلت أول أيام رفع الحظر؟ معتبرين أنه يوم عيد؛ وما ذلك إلا لأن الفكاهة موهبة فطرية وثقافة عامة مستترة "في بطن الشاعر" وتعبير حقيقي بل وتلخيص عبقرى لدفاع نفسي ضد واقع مؤلم يكاد يخرج عن السيطرة.

هذا وقد أجرى عبد الحافظ وآخرون في أبريل (2020) دراسة نشرت بمجلة صحة المجتمع لرصد معارف المصريين وما لديهم من إدراك ووعي بشأن "كورونا" وما ترتب على ذلك من اتجاهات لديهم نحو الوباء، وقاموا بمسح مستعرض شمل (559) فرداً، حصلوا منهم على ما نسبته (66,9%) من البيانات عبر الإنترنت، وبينت نتائج الدراسة أن "الوعي" كان أقل دلالة لدى كبار السن والأقل تعليماً والأقل دخلاً والمقيمين بالمناطق الريفية، وإن كان هناك لدى مجموع الأفراد وعي بمخاطر المرض واتجاه إيجابي نحو الإجراءات الاحترازية التي صدرت لمجابهته، وعبر (68,5%) منهم عن أهمية الحظر في العمل على انحسار الوباء، وأكد (73%) منهم أنهم يتربصون اللقاح فور وصوله. وجاء في بيانات العينة أن نسبة (27%) منهم يعانون من أمراض مزمنة، ولديهم وعي بخطورة العدوى بالنسبة لحالتهم الصحية، وعبر (16,8%) منهم عن اعتقادهم بأن مواقع التواصل تنشر أخباراً مبالغاً فيها ومثيرة للذعر، وكان في رأي (25%) منهم أن الفيروس مخلوق كسلاح بيولوجي، واعتبر (23%) أن الإصابة به وصمة تسبب عدم الإبلاغ وصعوبة إجراء التردد والتقصي، وكذا زيادة معدلات الوفاة. وعبر (75%) عن اعتقادهم بأهمية ارتداء واقى الوجه أو القناع، لكن (35%) منهم فقط كان مستعداً لارتدائه، وعبر (68%) منهم عن مخاوف مرتبطة بالجانب الاقتصادي، وأثار الحديث عن اللقاح قضايا أخلاقية، منها: من سيكون أول من يحق له الحصول على اللقاح؟ وكيف سيتم تقسيم التكلفة بين الحكومات والأفراد؟

وأوصت الدراسة بمزيد من بذل الجهد لنشر التوعية والوعي بين الطبقات الأقل تعليماً والأقل دخلاً، مع ضمان ما يجب اتخاذه لوصول العلاج أو اللقاح وقت ظهوره إلى هذه الفئات الأكثر احتياجاً.

وما بين الدعوة إلى "خليك بالبيت" والدعوة إلى "دفع عجلة الاقتصاد" ارتبك "الوعي" بل تخبط وكاد أن يصبح أحدوثة العالم. وبين فئة أصابها الملل لطول فترة الحظر وأخرى كاد أن يخرب عيشها، جاءت قرارات رفع الحظر ولزوم إعادة فتح البلاد، وكان ذلك صادماً أصاب

"الوعي" في مقتل. لا بديل عن دوران عجلة الاقتصاد، يجب أن تنتهي مرحلة الترقب والخوف المبالغ فيه، وسواء وصل اللقاح أو لم يصل، سنتعايش وقد رفعنا "الرأية البيضاء" تفهماً وحنراً لا يأساً واستسلاماً، وهل يعقل أن يستمر الإنسان في الرجوع إلى الوراء على طول الخط؟

يرجع الفضل للوباء -إن كان يمكن أن يكون للوباء فضل- أن صدّر إلى الواجهة قضية "الوعي" فقد أصبح الخطاب كالتالي: لن ينحسر الوباء قريباً، نراهن على "وعيكم"، ارتدوا الكمامات وحافظوا على مسافة التباعد، وسنفتح ليس لأن العالم كله يفتح بل لأننا لا طاقة لنا لتحمل المزيد نتاج الغلق، وقد ثبت أن الحظر الكلي والجزئي غير مُجدٍ، سنفتح تدريجياً أو كلياً، لا فرق. نعالج مرضاً ونكتشف مرضاً أشد خطورة، بل إن العلاج نفسه جدّ خطير، إن الغلق التام ليس حلاً، والمطلوب حجر صحي انتقائي يتيح فرصة التفرغ لمواجهة الأزمة، وها هو العالم كله يعيد حساباته.

هل كان هناك معنى للرهان على "وعي" الشعب؟ هل كان "الوعي" وحده كافياً؟ هل تم تناول الأزمة جيداً وتمت المكاشفة بها؟ هل كنا نحتاج إلى إجراءات أكثر صرامة في مواجهة الفيروس الخبيث؟ والسؤال الأهم: هل كنا سنكسب وعياً جديداً في أسابيع قليلة بعد أن مرت علينا عقود لم نستطع فيها تغيير هذا الوعي؟ لماذا حدث التهاون؟ لماذا لم يتم تشديد العقوبة على من كان يخترق الحظر؟ لماذا لم تتكاتف جميع الأطراف لتطبيق إجراءات التباعد؟ هل كان لحملات التوعية جدوى على مستوى الأقاليم والقرى والنجوع؟ وكيف ومتى حدثت أزمة الثقة؟

لقد كان الموقف متماسكاً في بداية الأمر، لكنه لم يستمر على النهج نفسه من المواكبة، فكيف كانت النتيجة حين أردنا حل المعادلة الصعبة التي توازن بين مطالبات الأطباء بحظر شامل وبين قرارات إعادة الفتح وإلغاء التعليق والحظر؟ كان التساهل وعدم الالتزام نتاج غياب الوعي، أو لنقل أن الوعي الحاضر لم يستوعب مخاطر الكارثة، إنه وعي غائب، نستدعيه فجأة ونستحضره، بعد سنوات غياب وتغييب، وهنا كان ولا بد أن نشهد ما شهدنا من ارتباك وسطحية، لقد تذكرنا جميعاً توفيق الحكيم طارحاً قضيته في كتابه "عودة الوعي" وتذكرنا ما تعرض له من هجوم قاس، وما كان غريباً كل ما استكراه، وإنه لمن سوء حظ الجيل الحالي أن يشهد "كورونا" في ظل "وعي" غائب، فهل تغني جهود التنمية مهما كانت عوائلها بناء ورخاء دون العمل على تنمية الوعي وتطوير التعليم ودعم مؤسسات الصحة حفاظاً على حياة الناس التي هي الثروة الحقيقية التي تحتاج رعاية واهتماماً؟

إن ما بعد "كورونا" أخطر من "كورونا" ذاته، فلن تستمر الحياة في عزل صحي إلى ما شاء الله، وليس منتظراً في القريب الوصول إلى لقاح، وفي (٣٠) مارس حدثت منظمة الغذاء العالمي (فاو) من أزمة غذاء عالمية بسبب طول مدة إجراءات العزل الصحي التي تكسر سلاسل إمدادات الغذاء العالمية، فهل يمثل رفع الحظر والخروج من العزل تفضيلاً لمنطق الاقتصاد على حساب الأنفس؟ وكيف ننقذ هذه الأنفس ونعيد للاقتصاد استقراره؟

اقتضت احتمالية بقاء "كورونا" إعادة تشكيل السلوك الإنساني ليستند إلى معياري "الوعي" و"الالتزام" تقارباً وتعايشاً مع واقع مضطرب، وتطلعاً إلى معادلة توازن تسلم بوجود الفيروس وتطرح بدائل العيش معه مع مراعاة تقديم الدعم والحماية من القلق والتوتر كما من العدوى سواء في دوائر شخصية أو مؤسسية عامة.

الحرية أولى من الحياة، وفي زمن "كورونا" الاقتصاد أولى من الحياة؛ لأنه لا مقارنة أساساً بين الحرية والحياة، فالحرية هي طاقة الحياة المتجددة ويستحيل المقابلة بينهما،



ولكن لماذا يجب أن يكون الاقتصاد أولى من الحياة؟ وليس العكس، وهل يمكن أن تكون الحياة في خدمة الاقتصاد؟ وكيف نعكس الأمر ليصبح الاقتصاد سبيلا للحياة والعيش الكريم والاستمتاع؟

إن ما يعيشه العالم أو ما اكتشفه العالم أنه يعيشه اليوم هو اقتصاد الاستغلال الذي يعزز العيش من أجل العمل رغم الأزمات، فهل يجب علينا أن نعمل من أجل عيش أفضل أم من أجل عيش أكرم؟ كان ينبغي أن يسأل المصريون أنفسهم هذا السؤال، ويتذكروا غاندي الذي أجاب بقليل من الحماس عندما سُئل عن رأيه في الحضارة بأنها فكرة جيدة لكنها ليست مبررا للاستغلال، مثلها مثل الحرية والتقدم والديمقراطية وغيرها.

هذه هي دعوة مقال اليوم: بالوعي المستند إلى عقيدة راسخة وعلم متوهج ثم رؤية وتطبيق عملي نعيش في تناغم وكرامة، ولتكن الدولة وسياساتها واقتصادها وتقدمها سبيلا للعيش الكريم والحياة الكريمة، وليس العكس.

متى سينتج العالم حياة جديدة بعد ما طاله من تغيير، ومتى سنبلغ عالما مسئولاً مبتكرا أيضا؟ لقد تكررت الأوبئة، فهل نتعلم؟ الله أعلم بما يوعون، وإن قلوبنا أوعية وخيرها أوعاها، وقل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، فهل هي الدعوة لتثبيت الوعي أم لتحريره أم لتنميته أم لإيجاده من الأساس بلا مزايدة بالكلام عن تغييره؟ ولأن الوعي أكثر أهمية في أوقات الطوارئ والأزمات، فعلى الدول أن تنتبه إلى ما يلي:

- تدريب الأفراد على امتلاك نظرة متكاملة نحو الحياة والمجتمع والتمسك بالأهداف والسعي لتحقيقها.
- تدريب الأفراد على النهوض بالمسئوليات وتحمل عواقب القرارات ومراقبة الذات قولاً وفعلاً.
- الارتقاء بالمحتوى العلمي والمعرفي والثقافي للأفراد، ومتابعة مراجعة وتعديل محتوى البرامج عبر وسائل الإعلام.
- تشجيع الأفراد على الالتزام بالقرارات ومراقبة تنفيذها لتقليل خسائر الجهد والوقت والمال.
- تشجيع الجامعات على القيام بدورها، وذلك بتشجيع البحث العلمي، وإعادة توزيع مخصصاته، بل ومضاعفتها للارتقاء به.

ختاماً: أسأل الله لي ولكم نجاة من كل عجز فكري ورؤية غائبة ووعي منقاد.

## المراجع:

- ١- الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء (٢٠٢٠).
- ٢- غزافييه بافي (٢٠٢٠). ما الذي تكشفه لنا الفلسفة عن وباء "كورونا"؟ ترجمة: مرسلتي لعرج Couua.com
- ٣- والتر ميغنونو (٢٠٢٠). الوباء وثالثو الحرية والاقتصاد والحياة. ترجمة: البشير عبد السلام Couua.com

Abdelhafiz,A.S.,Mohamed,Z.,Ibrahim,M.E.,Ziady,H.H.,Ayyad,M.M.&Sultan,E.A.(2020).Knowledge, Perceptions, and Attitudes of Egyptians Towards the Novel Coronavirus Disease(COVID-19).J.Community Health,April21,1-10